

معاجم المعاني

مرحلة التمهيد

- يبدو أن فكرة هذا النوع من المعاجم - الذي يُرتَّب ألفاظه بحسب الموضوعات - كانت أسبق في الوجود ، أو معاصرة لأولية المعاجم العربية المرتبة على الألفاظ، وإن أخذت البداية شكلا خاصا يتمثل في كتيبات صغيرة يتناول كل منها موضوعا واحدا من الموضوعات .
- من أوائل من ألفوا الكتيبات ذات الموضوع الواحد : أبو مالك عمرو بن كركرة الذي ألف : خلق الإنسان ، والخيـل ، ومنهم أبو خيرة الأعرابي الذي ألف : الحشرات ، وهما من علماء القرن الثاني الهجري .
- وفي القرن الثالث استمر هذا العمل ، ووُجِدَت بجانبه أعمال أخرى تتمثل في كتب تجمع أكثر من موضوع في مجلد واحد .
- فمن النوع الأول : السلاح للنضر بن شميل ، والنحلة ، والإبل ، والخيـل، وخلق الإنسان لأبي عمرو الشيباني ، والإنسان والزرع لأبي عبيدة ، والمطر، والمياه ، وخلق الإنسان ، والشجر لأبي زيد الأنصاري ، والإبل ، والنحل ، والإنسان ، والنبات ، والخيـل للأصمعي ، وأسماء الخيل ، والبئر ، والدرع لابن الأعرابي .

- ومن النوع الثاني تلك الكتب التي حملت اسم " الغريب المصنف " أو "الصفات".
وممن ألف من أبناء هذا القرن فيها : النضر بن شميل الذي ألف " الصفات ،
وأبو عبيد القاسم بن سلام الذي ألف " الغريب المصنف " ، ومن معاجم هذا
القرن كذلك معجم لابن السكيت يحمل اسم " الألفاظ " ، وهو مطبوع ومتداول .
- ويستمر الاتجاهان في القرن الرابع ، فيؤلف الأخفش الأصغر "الأنواء" ، وابن
دريد " السرج واللجام " و" المطر والسحاب " ، وأبو علي القالي " الإبل " ،
ويؤلف كراع النمل (أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي) " المنجد " ، وعبد
الرحمن بن عيسى الهمذاني (ت ٣٢٠ هـ) " الألفاظ الكتابية " ، وقدامة بن جعفر
(ت ٣٣٧ هـ) "جواهر اللغة " ، وآخر ما طبع من معاجم المعاني لهذا القرن
"متخير الألفاظ " لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)
- أما القرن الخامس فقد كاد يختفي منه الاتجاه الأول ، وبقي الاتجاه الثاني ممثلاً
في " مبادئ اللغة " للإسكافي (ت ٤٢١ هـ) الذي ضم أبواباً تدور على
الموضوعات ، مثل النجوم والدهر والليل والنهار والثياب والآلات وأدوات
الطعام والشراب ، وقد طبع بالقاهرة ، وكذلك ظهر فيه " فقه اللغة " للثعالبي (ت
٤٢٩ هـ) ، وقد طبع كذلك .
- وتوج هذا القرن بعملين مهمين ، أحدهما غاية في الطول ، والآخر غاية في
الاختصار . أما الأول فهو "المخصص" لابن سيده .

”المخصص“ لابن سيده (ت ٥٨٤ هـ)

- يعد ”المخصص“ لعلي بن إسماعيل بن سيده أكبر وأهم وأشمل وأوفى معجم من معاجم المعاني في تاريخ اللغة العربية ، إذ إنه يقع في (١٧) سفرا كبيرا . جمع فيه ابن سيده كل الرسائل اللغوية وكتب الموضوعات السابقة عليه .
- ويضم الكتاب إلى جانب ذلك كثيرا من المباحث النحوية والصرفية ، كما أنه مزود بالشواهد المنظومة والمنثورة .
- والمخصص مطبوع ومتداول .
- والمعجم مقسم إلى أبواب رئيسية بحسب الموضوعات ، وتحت كل باب مجموعة من التقسيمات النوعية .
- عاش ابن سيده بعد أن انتهى عصر الرواية في القرن الثاني الهجري ، كما حدده اللغويون الثقة بقرنين ، ولذا نجده ينقل عن جمهرة اللغة لابن دريد ، والعين للخليل ، والبارع للقالبي .
- أكثر من الاعتماد على كتاب أبي عبيد ”الغريب المصنف“ بوجه خاص ، إذ إنه ، كما قيل ، كان يحفظه عن ظهر قلب . إلى حد ذهب معه بعض الباحثين إلى أنه نقله بأكمله في مخصصه .

- قوبلت هذه الطريقة في جمع المادة وتصنيفها بنقد عنيف ، إذ وصف عمله هذا بأنه خلط بين الألفاظ ، وحشد لها بطريقة غير منظمة ،

- وقد أدى نهجه في عرض المادة معتمدا على الرواة والرواد الأوائل اعتمادا كاملا دون أدنى تغيير في الأغلب إلى الخلط والاضطراب ، وصعوبة العثور على اللفظ المراد ، فقد كان في وسعه ، بعد أن توفرت له مادة لغوية كافية ، بذل الأوائل في جمعها عناء ومشقة وجهدا عظيما ، ومضى زمن طويل على عناية عدد غير قليل من اللغويين بهذا اللون من ألوان التأليف ، أن يعيد تنظيم تلك المرويات ، وأن يرتب تلك المفردات ترتيبا دقيقا حتى يسهل الفائدة منه ، وييسر طريقة استعماله .

- انفرد ابن سيده ، خلافا لمن ألف في كتب الموضوعات ، بالكشف عن فائدة الترتيب الموضوعي ، أي تقسيم الألفاظ إلى مجموعات تحت عناوين معينة ، وحصر ألفاظ اللغة خلال موضوعات مختلفة، تليها عناوين فرعية إلى تضيق الدائرة . وهكذا يدل كل عنوان على المفردات والدلالات والتراكيب والسياقات التي تندرج تحته ، فثمة معنى عام (موضوع مفرد) تدخل تحته المعاني الجزئية (أجزاء هذا الموضوع) فتتسع الدائرة في البداية ، وتستمر في الضيق حتى النهاية .
- هذا الترتيب وجه - أساسا - إلى فئة محددة من الناس كي يفيدوا منه .

منهجه:

- بدأ كتابه بمقدمة عامة تناول فيها قضايا اللغة .
- سار في ترتيب أبوابه على ترتيب الغريب المصنف ، غير أنه زاد عليه إضافات لغوية مختلفة نقلها عن عاصر أبا عبيد ، أو جاء بعده ، ولكنه لم يلتزم الترتيب في كثير من الأبواب . وهو في ذلك يحاكي أبا عبيد الذي سار على نهج كتب الأصمعي ، وأبي زيد ، وأبي عمرو ، والكسائي ، والفراء ، وغيرهم ، ولكنه كان يخالفهم في بعض الأبواب .
- يرى د. حسين نصار في كتابه " المعجم العربي " أنه كان يحاول أن يرجع إلى أحسن كتاب في موضوعه والاعتماد عليه .
- اختلف عن " غريب المصنف " لأبي عبيد في أمور عدة أهمها :
 - طبيعة العلماء الذين رجع إليهم كل منهما ، وطريقة الأخذ عنهم ، فقد كانت الرواية الشفوية هي النهج الوحيد الذي اتبعه أبو عبيد في أخذ المواد اللغوية وتدوينها ، فلم يثبت في كتابه إلا ما سمع . وكذلك حرص كل الحرص على أن ينبه إلى أسماء الرواة واللغويين صراحة .
 - أما ابن سيده فقد اكتفى بالتنبيه على اسم المؤلف الذي ينقل عنه ، ولم يحفل بذكر أسماء الرواة واللغويين ، فقد تراجع الاهتمام بنسبة المادة اللغوية بشكل واضح ، ويتجلى ذلك أيضا في حذفه كثيرا من أسماء الشعراء الذين يستشهد بأبياتهم .

- تكشف أبواب المخصص كذلك عن عناية كبيرة بالقضايا النحوية والصرفية ، وأولى التعليقات النحوية والصرفية اهتماما خاصا أيضا ، ولذا نجد أسماء النحاة مثل : سيبويه ، وأبي علي الفارسي ، والسيرافي ، وابن جني ، وكلها أمور لا نجدها في كتب غيره ممن ألف في هذا اللون من التأليف ؛ لذلك عد المخصص أشمل كتب الموضوعات ، وأجمعها إلى جانب ما يحمله من المعارف النحوية والصرفية .

- لخص ابن سيده في مقدمته النهج الذي اتبعه في عرض موضوعاته فقد كان يبدأ بالأعم فالأخص – أي أنه جعل لكل موضوع باب ، ثم قسم أبوابه بعد ذلك إلى فصول – وأن يقدم الكلّيات قبل الجزئيات ، والجواهر قبل الأعراض . فكان ينظر إلى كل موضوع في مخصصه نظرة مستقلة ، فيبدأ بتعريف الألفاظ العامة الشائعة التي يتوقف عليها الموضوع كله ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى جزئيات الموضوع ، ويعنى بالتسميات المختلفة ، والمعاني المتنوعة لكل جزء .

- خلت المواد التي عالجها من رأيه إلا في قليل من المواضع التي كان يعلق فيها على نقول أو آراء .

- رتب الكتاب ترتيبا منطقيا ، فبدأ بالإنسان ، ثم الحيوان ، ثم الطبيعة ، فالنبات . وأعطى كل كتاب عنوانا خاصا به مثل : خلق الإنسان ، والنساء ، واللباس ، والطعام ، والأمراض ، والسلاح .

- قسم كل كتاب إلى أبواب .

- طبع الكتاب في سنة ١٣١٦هـ .

”كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ“ لابن الأجدابي

- هو العالم اللغوي أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي الطرابلسي ، من علماء القرن الخامس الهجري.
- ولد وعاش ومات في طرابلس .
- نال الكتاب شهرة عظيمة برغم صغر حجمه ، وتوالى عليه المؤلفات شرحا ونظما ، وبقيت منه نسخ عدة في كثير من مكتبات العالم ، كما أنه طبع أكثر من مرة في أكثر من بلد عربي .
- الكتاب صغير الحجم إذ يبلغ في بعض الطبعات ٥٥ صفحة ، وفي بعضها الآخر ٨٠ صفحة .
- أما أبواب الكتاب فمنها : باب في صفات الرجال المحمودة – ومن صفات الرجل المذمومة – باب في صفات النساء المحمودة – ومن مذموم صفاتهن – معرفة حلي النساء – باب ما يُحتاج إلى معرفته من خلق الإنسان .